موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل الى القاهرة ودفن هناك وأرسلت الى ابنه (توران شاه) فحضر وكان بديار بكر فحارب الفرنج وأسر ملكهم لويز التاسع السالف الذكر في واقعة فرسكور وسجنه بالمنصورة بمحل يعرف بدار لقمان ووكل بحفظه طواشي يقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر وقتل (توران شاه) المذكور بعدان حكم شهرين فقامت بالامر بعده شجرة الدر وكانت تحسن التدبير عن زوجها وجعلت عز الدين ايبك التركماني نائبا عنها وأطلقت لويز من السجن بعد اتفاق بينها وبين الفرنج وسلموا دمياط الى المصريين ودفعوا أموالا جسيمة وتركوها بعدان أقامت بيدهم احدى عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها المذكور وبعد ذلك اتفق الامراء على تولية الملك الاشرف موسى ابن الملك الصالح وأشركوا اسمه مع شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ هـ سنة ١٢٥١ م وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على مصر وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لخدمته وأسكنهم بالقلعة التي بالروضة وكان لهم على شطوط النيل مراكب مشحونة بالسلاح ومهمات الحرب ولهذا كانوا يسمون المماليك البحرية

وقبل التكلم على هذه الدولة أي دولة المماليك البحرية نذكر طرفا من أخبار السلجوقيين الذين بظهورهم ضعفت خلفاء بني العباس وزالت بالكلية والجزئية باغارة المغول

الباب الحادي عشر

﴿السلجوقيين وحروب الصليب﴾

كان دقاق أبو سلجوق من مقدمي الترك ونشأ سلجوق وعليه أمارات النجابة فقدمه بيغو ملك الترك ثم خاف من بيغو فدخل وكل من أطاعه في دين الاسلام لسعادته وأقام بنواحي جند (بفتح فسكون) قرية وراء بخارى وصار يقاتل كفار الترك وتوفي سلجوق المذكور بجند وعمره ١٠٧ سنة

سنة واستمر أولاده أرسلان وميكائيل وموسى فى غزو الترك حتى قتل ميكائيل فى الغزوات وخلف أربعة بيغو وطغرلبك وجعفر وبك داود وابراهيم نيال قربوا من بخارى فأساءهم أميرها فالتجؤا الى بغراخان ملك الترك كستان واتفق طغرلبك وأخوه داود ان لا يجتمعا ببغراخان حذرا من غدره فتقدم اليه طغرلبك فقبض عليه ملك الترك كستان وسجنه ولم يمكنه القبض على داود فارسل بغراجيشا لقتال داود فانهزم عسكر بغراوسار داود وأخرج أخاه من السجن وأقاما بجند حتى انقرضت الدولة السامانية وملك ايلك خان بخارى فعظم عنده أرسلان بن سلجوق ثم سار ايلك خان وجعل عامله على بخارى على تكين ومعه أرسلان حتى جاء السلطان محمود بن سبكتكين وقصد سنجار فهرب على المذكور من بخارى وكاتب أرسلان السلطان محمود فلما دخل بخارى قبض على أرسلان وجماعة السلجوقيين وفرقهم فى نواحى خراسان على خراج يدفعونه اليه فجارت العمال عليهم فانفصل جماعة منهم وساروا الى اذربيجان ومكنوا بها واسمهم هناك الترك الغزية وسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو الى بخارى فقاتلهم عسكر على تكين وأخيرا استمرت الحروب بين طغرلبك واخوته وبين مسعود ابن السلطان محمود انتهت بهزيمة مسعود واستولى السلجوقيون على خراسان وخطب لهم على المنابر فى آخر سنة ٤٣١ هـ واستمر طغرلبك فى فتوحاته الى ان قدم الى العراق ونزل بحلوان فعظم الارجاف ببغداد وبذل قواده له الطاعة والخطبة باذن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ثم استأذن طغرلبك فى دخول بغداد فدخلها وقبض أيضا على الملك الرحيم آخر ملوك العراق من بنى بويه واستيلاء طغرلبك على الامور كان سببا فى انحطاط الدولة الاسلامية وانتقال شوكة العربية الى الاتراك الذين كانوا قد دخلوا فى خدمة الدولة منذ قرنين فلما ارتفع شأن طغرلبك ازدادت قوة الاتراك وأشهروا السلاح واستمروا فى الفتوحات الاسلامية التى وقفت بظهور دولة بنى

العباس وهم الذين قاوموا المسيحيين مدة حروب الصليب الا ان غو التمدن وقف بالبلاد المشرقية وحصل التعصبات والفشل والمصائب الكبيرة التي أهمها اغارة المغول

ولما مات طغرلبك أخلفه ابن أخيه الب أرسلان فاخذ في الغزوات واستولى على سيليسيا التي كان قد أخذها من العرب امبراطور القسطنطينية المدعو (حنازيميسكس) فقهر الامبراطور المعاصر له وهو (ديوجين) وامتد حكم الب أرسلان الى أقصى بلاد العرب ثم توجه لغزو بلاد التركستان فقتل هناك فأخلفه ابنه جلال الدين ملك شاه الذي به ازدادت قوة السلجوقيين فاجتهد في توطيد سطوته وتوسيع مملكته وكان وزيره نظام الملك قد اشتهر بالفضل والكرم كجعفر البرمكي وفي مدته كثرت المدارس والجوامع ببغداد وتجددت الشوارع والى غير ذلك من الاشغال الداخلية وقد بعث جيشا مع وزيره نظام الملك لفتح البلاد ففتح مدينة انطاكية وجملة مدن أخرى من بلاد الجزيرة وطرد الروم وتبعهم الى بوغاز البوسفور وجميع البلاد الممتدة من جبال قوقاز لغاية بلاد أرمينيا ولم يبق للروم سوى المدن البحرية فقط وصارت جميع البلاد من نهر الهندوس لغاية البحر الاحمر وبحر الارخبيل مذعنة الطاعة لملك شاه ولما مات قسمت مملكته بين أولاده الاربعة محمود وبارقيارك وسنجار ومحمد الى أربعة أقسام بعد حروب شديدة حصلت بينهم وهي العجم والقرمان والشام والروم (قبادوسيا) وكان تخت الاخيرة قونيه وتمزقت ممالك ملك شاه واستقل عماله على أقاليمهم فان زنكي الملقب بالاتابكي استقل بالموصل وارتك التركماني تغلب على المقدس وفي مدته قاست النصارى الظلم والجور فلما أتى أحد الحجاج الفرنساويين المدعو بطرس ارميت لزيارة الارض المقدسة وعاين ما هو فيه أثناء جنسه عاد الى فرنسا وقص ما شاهده وكان ذلك سببا للحرب الصليبية الاولى وسميت بهذا الاسم لانه كان يلابس المجاهدين فيها صلبان حمر

من

من معادن مختلفة

﴿الحرب الاولى﴾

وكانت ركبة غير منتظمة ولم تكن رؤساؤها من أهل الخبرة فاموا من أوروبا سنة ١٠٩٦ م الموافقة سنة ٤٢٦ هـ وساروا على شواطئ نهر الدانوب وأخربوا جزاً عظيماً من بلاد المجر والصرب ودمروا كل ما مروا به وعند وصول هؤلاء الاقوام الى القسطنطينية أدخلهم امبراطورها اليكسيوس كومنينوس آسيا الصغرى فلما وصلوا الى مدينة انجورا قام عليهم ملك الروم السلجوقي وهزمهم ومزقهم كل ممزق ولم يعد عليهم شيء من هذه الاغارة الا فقد أرواحهم وفي السنة الثانية أتى جيش أقل عدد من الجيش المتقدم الا انه كثير الجراءة وكان قواده اناساً ذوي شهامة ومهارة وكان الرئيس الاكبر لهذه الركبة هو (جدوفروادو بويون) فاجتاز بوغاز البوسفور وحاصر مدينة نيسيا وأدخلها تحت طاعة الامبراطور السابق الذكر ثم انتصر على الاتراك في وقعة بالقرب من مدينة دورليا وكانت هذه المدينة مفتاح آسيا الصغرى لكنه هلك منهم جزء عظيم بالامراض والحروب المستمرة بينهم وبين الاتراك فلما وصلوا الى مدينة انطاكية كان في طاقة المسلمين الظفر باعدائهم لولا الشقاق الداخلي بين الرؤساء السلجوقيين وبعد ثمانية شهور من الحصار وقعت هذه المدينة في قبضة الصليبيين فقام أمير الموصل كتبغا لمساعدة تلك المدينة فهزم شر هزيمة سنة ١٠٩٩ م الموافقة سنة ٤٢٩ هـ ومع ان بيت المقدس كان ذا حصون متينة أخذته الصليبيون وصار (جدفروادو بويون) ملكاً عليه وذلك بعد موت أخيه بودوين السالف الذكر بسنتين وعاد الصليبيون الى أوروبا بعد ان نظموا بيت المقدس على نسق الممالك الغربية واستمر أهل القدس النصارى في حروب دائمة مع المسلمين حتى اتسعت مملكتهم وفتحوا مدينتي انطاكية وأورفا وجعلوها مدينتين حصينتين لتكونا

لهم ملجأ عند الشدائد

﴿الحرب الثانية﴾

ولما استولى عماد الدين زنكى على مدينة أورفا وطرد منها نواب الصليبيين كان ذلك سببا فى حرب صليبية ثانية تحت قيادة لويز السابع ملك فرنسا وكونراد الثانى امبراطور المانيا فحاصروا دمشق ولكنهم التزموا بالرحيل عنها الان جيوشهم قد هلكت من الحروب والامراض المتكاثرة وقد كانت مملكة بيت المقدس فى حالة سيئة ولما تولى صلاح الدين يوسف ملك مصر واستولى على دمشق وحلب والموصل وهزم ملك بيت المقدس جى لوزنيان ودخل القدس وهدم مملكة بيت المقدس النصرانية كما تقدم شرع فريدريك بربيروس امبراطور ألمانيا وفيليبش ملك فرنسا وريشارد قلب الاسد ملك انجلترا فى حروب صليبية ثالثة فتوفى فريدريك فى الطريق ووصل الصليبيون الى فلسطين واستولوا على عكة وبعد هذا النجاح العظيم عاد أغلب الصليبيين الى أوروبا فاستمر ريشار بنفسه فى قتال المسلمين ولكنه بعد ذلك نزل أرض فلسطين بعد ان تعاهد مع صلاح الدين يوسف سنة ١١٩٢ م الموافقة سنة ٥٨٨ هـ وشرع فى حروب صليبية أخرى فحصلت بعد ذلك بسير وكانت تارة بالشام وتارة بمصر وتارة بتونس ولكن كانت سجالا ودولا بين الطرفين وأخيرا بقيت الشام للمسلمين وانضمت الى مصر فى زمن الايوبيين والمماليك البحرية والجراكسة

﴿اغارة المغول﴾

وفى سنة ١٢٥٧ م أى فى زمن الخليفة المستعصم الذى هو آخر خلفاء بنى العباس أغار على العراق أمة المغول فنهبوا الاموال والخزائن الموجودة ببغداد وقتلوا كثيرا من عساكر الخليفة وسبب ذلك ان وزيره ابن العلقمى كان رفضيا عدوا أهل السنة يريد زوال الخلافة من بنى العباس فصار يكاتب امبراطور المغول (بنى الاصفر) ويخبره بضعف

الخليفة

الخليفة ويعلمه صورة أخذ بغداد ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العساكر فوفر فى مرة عشرين ألف مقاتل وأظهر للخليفة انه وفر من مصاريفهم أموالا جسيمة فى بيت المال فأعجبه رأيه ولكونه يحب المال وجمعه فارسل امبراطور المغول أخاه هلاكو الى العراق ومعه جيش جرار فلما علم الخليفة بذلك استيقظ من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير فى نهر الدجلة وقتل أكثرهم وأسروا الخليفة وأولاده ووقع وزيره لعنة الله عليه فى الذل والهوان الى ان مات وعملت جملة قصائد ببغداد منها

ياعصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ماتم للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

وكان ذلك سنة ١٢٥٨ م الموافقة سنة ٦٥٦ هـ وانتقل بيت الخلافة من بغداد الى مصر فى زمن السلطان بيبرس البندقدارى وكان أولهم المستنصر وصل الى مصر واجتمع بالظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده بعده على هذا المنوال

الباب الثانى عشر فى المماليك البحرية

كان ابتداء هذه الدولة فى سنة ٦٤٨ هـ الموافقة سنة ١٢٥١ م وعدد ملوكها ٢٤ ومدة حكمهم ١٣٦ وأول ملوكها عز الدين ايبك زوج شجرة الدر وسبب استيلائه ان الاشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد فاجتمعت الآراء على اقامة عز الدين بمفرده ولما تسلطن شرع فى تحصيل الاموال واستخدام الرجال واستوزر أبا سعيد هبة الله وكان أول قبطى تولى الوزارة وأوجد مكوسا سماها حقوقا ثم ان عز الدين لما صفى له الوقت وتمكن وكثرت عساكره هربت جماعة البحرية الى الشام مع رؤسائهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الالفى وغيرهما